الجزء الحادي عشر من السنة الثانية

الضلال في الضوء الازرق

قد كان من نصيب المقتطف ان ينازل اصحاب السحر والعين والتنجيم والعلم بالغيب والمسرمس والسومنامبولسم والزجاج الازرق وما ينسب اليه من الغرائب وقد اقتحم ما اقتحم ولم يحجم عن سبيل المسالمة والمودّة فغدا شاكرًا مسرورًا بانهُ سلك السلوك المشترط . على ان الاحوال قد الجأته ان يعود ويطاعن اهل الزجاج الازرق اوالضوء الازرق كما شاع فتجرّد عازمًا ألّا يحيد عن النهج الذي نهجهُ سابقًا فلا يجول الّا في ميدان الحقائق ولا يطعن الّا بالدليل والبرهان . هذا وقد رأى ان دفع المحذور واجب فاقتضى ان نصرّح لاصحابنا الافاضل منشئي الجرائد المصرية ان ليس في نيتنا التعرض لهم ولا انتقاد اقوالهم فانهم ناقلون لا كافلون . وانهُ ليشقُّ علينا ان لا نجاريهم هذه المرة ولكنّ الضرورة اوجبت

لا يخفى على حضرات مطالعي المقتطف أنّا منذ خمسة اشهر ذكرنا خبر انتشار الضوء الازرق في الولايات المتحدة باميركا وادعاء اصحابهِ بانهُ يشفي الامراض ويزيل الاسقام ويبدل الضعف بالقوة (انظر وجه ١٥٦ من الجزء السابع من هذه السنة) وذكرنا هنالك ان ذلك الادعاء فاسد وان شمسهُ اخذت في الافول وبضاعتهُ في الكساد . ثم ان جريدة لا ريفورم نشرت هذا الخبر حديثًا واثبتت صحتهُ ونسبت اليهِ من الغرائب شيئًا كثيرًا فتناقلتهُ بعض الجرائد العربية فهافتت علينا مسائل السائلين في هل يكون هذا الخبر صحيحًا بعدما كذّبناهُ . وهذا ما اوجب وضع هذه النبذة فنقول مبتدئين بتفصيل هذه الدعوى ثمّ بتفنيدها

يسمّى صاحب هذه الدعوى الجنرال پلرتون وهو رجل اميركي من اهل فيلادلفيا في الولايات المتحدة . نال الاجازة باستعمال مدعاهُ لنفع الجمهور في سنة ١٨٧١ ثم ألّف في ١٨٧٦ كتابًا في الضوء الازرق ومنافعهِ للحيوان والنبات ولشفاء الامراض وازالة الاسقام كما سترى وكانهُ لتعميم منفعتهِ طبعهُ بلون ازرق وجلدهُ بجلد ازرق ايضًا . وما ادّعاهُ فيهِ انهُ غرس عشرين دالية في محل لتربية المزروعات وجعل زجاج كل نافذة ثامنة من نوافذ المحل من الزجاج الازرق فجاءت الدوالي ١٢٠٠ ليبرا من العنب في السنة الثانية من غرسها وهذا شيء لم يعهد لهُ مثيل في تلك البلاد . وانهُ وضع عجلاً صغيرًا ضعيفًا في مذود زجاجهُ ازرق فصار ثورًا كبيرًا قويًا في اربعة اشهر وعجلات

صغيرات فانتجت لما بلغت من العمر ثمانية عشر شهرًا . وان طفلاً ضعيف البنية كان وزنهُ عند ولادتهِ ٤½ ليبرا فصار ٢٣ ليبرا وهو ابن اربعة اشهر وذلك لان سخار سريره ازرق . وان فتاة سقط شعرها فنما بسرعة في محل زجاجهُ ازرق وان مفلوجين برئوا وصمّا انفتحت آذانهم وكثيرين مصابين بامراض عضالة شفوا بمجرد سكناهم في محلات زجاجها ازرق . وروت جريدة لاريفورم عنهُ امرًا اغرب من جميع ما تقدّم وهو انهُ ردَّ الى الشباب جواريهِ معنسات كنَّ قد طعنَّ في السن حتى تجعّدت وجوههنَّ فوجدنَ من رغب فيهنَّ وتزوجهنَّ . وادّعى امورًا كثيرة على غاية الغرابة لا يحتمل المقام سردها هنا ونسبها كلها الى قوة في الضوء الازرق (اي النور النافذ من زجاج ازرق) ثم لفّق لهذه القوة تعليلاً فاسدًا زيّاهُ بزي العلم ايهامًا للبسطاء وهاك تعليلهُ وفسادهُ

نور الشمس مؤلّف من سبعة اضواء مختلفة الالوان وهي احمر وبرتقالي واصفر واخضر وازرق ونيلي وبنفسجي وتظهر هذه الالوان في قوس قزح وتنفذ الزجاج الشفاف العديم اللون كلها معًا واما اذا كان الزجاج ملوّنًا فينفذهُ الضوء الموافق لونهُ . فالزجاج الاحمر ينفذهُ الضوء الاحمر والزجاج الازرق الضوء الازرق وقس عليهِ . واما البقية فتبدد وربما نفذ قليل من بعضها مع النور النافذ . قال الجنرال المذكور يعلل مدعاهُ انهُ متى اصاب نور الشمس لوح الزجاج الازرق ينفذهُ الضوء الازرق من اضوائهِ السبعة واما البقية فتصدمهُ فيتولد من صدمها لهُ حرارة وكهربائية ومغنطيسية فالحرارة توسع مسام الزجاج اي الثقوب التي فيهِ فتدخل الكهربائية والمغنطيسية منها مع الضوء الازرق ثم ان وقعنا على نبات قويَ واسرع نموهُ وان وقعنا على حيوان زال ما بهِ من الضعف والمرض وصحَّ جسدهُ وان وقعنا على راس فتاة قد سقط شعرها نما شعرها سريعًا وان وقعنا على وجه عجوز اصبحت صبية وان وقعنا على شيخ جعد الوجه احدب الظهر لزم ايضًا ان تردَّاهُ الى الشباب وسمو الهمة ومضاء العزيمة . فسقيًا لهذا المستنبط لو صح قالهُ ونعم ما ادعى لو صدق . فاو علمت شعراء الارض انهُ سيقوم من يفعل هذه العجائب ما نظمت القصائد الاّ في مديحهِ وما تمنت الاّ زمان مجيئهِ وما تحسرت وتأوهت كما تحسر القائل

فيا ليت الشباب يعود يومًا فاخبرهُ بما فعل المشيبُ

وما استفهم الآخر ولهان بقولهِ

هلاّ سبيل الى الشباب وذكرهُ اشهى اليَّ من الرحيق السلسلِ

اذ السبيل واضح وهو الضوء الازرق . ولو درى بهِ ابو الطيب المتنبي لما ذُعر من الشيب كانهُ ذو الاذعار قائلاً

ابعد بعدت بياضًا لا بياض لهُ لانت اسود في عيني من الظلم

فهذا مدّعى الجنرال بلرتون وتعليله الفاسد . اما فسادهُ فلا يخفى عمن له المام بالعلوم الطبيعية ولا سيما علم البصريات وذلك اولاً لان الضوء الازرق لا يختلف عن نور الشمس في شيء الاّ في قلة الحرارة والانارة والاشعة الكيماوية . وثانياً لان النور على الاصح اهتزاز لا مادة حتى يولّد بمصادمته للزجاج كهربائية ومغنطيسية . وثالثاً لانهُ لو كان في الضوء الازرق كهربائية للزم ان تؤثر في بعض الالات والحال انهُ قد ظهر بعد التجارب خلو الضوء الازرق من كل ما ذكر وثبت ان الضوء الازرق النافذ زجاجاً ازرق لا يختلف عن نور الشمس الاّ بكونهِ اضعف منهُ . وربَّ قائل بقول ما لنا وتعليلهِ فهل الضوء الازرق يفعل ما ذكر من الغرائب . قلنا هذا بعيد عن التصديق لا سيما وان بعض ما ينسب اليهِ لم يعهد في البشر ولا يقدر عليهِ الاّ الله عزَّ وجلَّ وفوق ذلك فالبرهان والامتحان اتفقا على تفنيدهِ كما ترى في ما يلي وهو

ان الزجاج الذي يستعملهُ الجنرال المشار اليهِ بنفسجي مزرق مرشوش بالازرق فمعظم ما ينفذهُ من نور الشمس الضوء البنفسجي والضوء الازرق . اما الضوء البنفسجي فاقل فائدة للنبات والحيوان من الاضواء السبعة كما اثبتهُ العلماء الاعلام بليفر وسالم وبلاستيم وكنّيته وبودريون من الافرنج وقد اثبت اكثرهم انهُ يضرُّ بالنبات من وجوهٍ عديدة لا محل لاستيفائها . واما الضوء الازرق فانهُ لما كان لا يختلف عن نور الشمس الاّ في قلة الحرارة والاضاءة كما تقدم فلا يفيد فائدة خصوصية الاّ حينما اريد تقليل النور . وقد اجمع الفلاسفة على ان نور الشمس الطبيعي المؤلّف من الاضواء السبعة كما خلقهُ الباري تعالى يفيد النبات والحيوان اكثر مما يفيدهما سواهُ من الاضواء . لانهُ اذا انقطع النبات عن النور سقم وذوى وعدم منهُ اللون الاخضر لاسباب محققة ولذلك كانت الاشجار النابتة في الاماكن القليلة النور او الاماكن المظلمة اسقم مما سواها . واذا انقطع الحيوان عن النور ابطأ نموهُ وضعف بدنهُ فالدعامص (البلاعط) التي تتحيل الى ضفادع لا تتحيل اذا انقطعت عن النور والذين يعيشون في السجون المظلمة او يقضون اكثر اوقاتهم في المعادن تحت الارض يسقم منظرهم وتتكاثر عليهم العلل وتضعف ابدانهم وتحط قواهم فثبت اذاً ان النور الازرق لا يفيد كالنور الطبيعي على ما خلقهُ الخالق الاّ حينما اقتضى تخفيف هذا النور

هذا وراي بعض العلماء ان كل ضوء من اضواء الشمس السبعة يؤثر في الحيوان تاثيراً مغايراً لتاثير الآخر قال العلاّمة نيوبري ان الضوء الاصفر ينعش المزاج العصبي والضوء الفرنفلي يقوّي التغذية وقال الدكتور بونزا ان الاحمر يزيل الغم والازرق يجلب السكينة والهدوء . فان صح قولهم وصح بعض ما ادّعى بهِ الجنرال بلرتون من الامور المحتملة الحدوث فقط فربما جاز ان يكون ذلك من هذا القبيل اي من سكون الانسان وطلبهِ الراحة في الضوء الازرق لا من قوة في الضوء المذكور

فان بعض الحيوان قد يفيدهُ الظلام اكثر من النور كالدجاج مثلاً فانهُ يسمن في الظلام اكثر مما يسمن في النور والارجح ان ذلك من سكونهِ وهدوئهِ في الظلام لا من قوة فيهِ اذ الظلام عدم . على ان سكون الانسان لا يشفي امراضهُ ويزيل اسقامهُ ويفتح آذان الصم ويبرئ المفلوجين ويقوّي النبات ويشدّد الحيوان ويجدد الشباب وما كان الباري تعالى ليخلق ضوءًا فيهِ كمال سعادة مخلوقاتهِ ثم يخنق تلك السعادة بخلق اضواء غيرهُ

وليس ذكر الجرائد دعوى الجنرال المذكور دليلاً على صحتها . نعم ان بعض الجرائد اطنبت في مدح اكتشافهِ ولكنها جرائد لا يركن اليها والاّ ما ندّدت بها الجرائد العلمية الاميركانية تنديدًا شنيعًا . ولم ينفك اهل العلم عن تكذيبهِ حتى تأكّد الجمهور فسادهُ فغابت شمسهُ كما غابت شمس غيرهِ ممن قاوم الحق فان الحق يقوى ولا يقوى عليهِ . والخلاصة ان الضوء الازرق ضلالة ضلّ بها الناس زمنًا وما نُسب اليهِ من الامور المحتملة التصديق نسبهُ العلماء الى الوهم . فبالوهم مات اناس صحاح الابدان سالمون من الامراض كالذي مات بالهواء الاصفر لزعمهِ انهُ نام في فراش مات فيهِ غيرهُ بالمرض المذكور وكالذي أوهم ايهامًا بانهُ فُصد ونزف دمهُ فمات وهو صحيح سالم وككثيرين يشفون من امراضهم اذ يوهمون بانهم اصحاء وذلك موكّد عند الاطباء "وكم للوهم من حيلٍ تروجُ"

المرقين

ذكرنا في الجزء التاسع فائدة المواد النباتية والحيوانية في دَمن الارض وقلنا هناك انها لا تصلح لهذه الغاية ما لم يأخذ فيها الفساد وبيّنا كيفية ذلك بوجه الاختصار وقد بقي علينا ان نذكر اسلوبًا آخر تُعَدُّ بهِ هذه المواد لدمن الارض دمنًا يفوق كل ما سواهُ . ذلك ان الحيوان يتناول طعامهُ من النبات او من حيوانات تغتذي بهِ وفي الحالين يأكل اكثر مما يحتاج لاجل قيام جسدهِ ومتى انحلّ الطعام في معدتهِ وامعائهِ ياخذ نصيبهُ منهُ ويفرز ما بقي وهذه المفرزات سوائل وجوامد وقد رأى الناس من قديم الزمان وجوب دمن الارض بها فاستعملوها اكثر من سواها ولم يزالوا . وحيث ان كثيرين من اهل هذه البلاد قد اقبلوا على امتحان ما نكتبهُ في هذا الموضوع رأينا ان نتبعهُ في كل ابوابهِ وان التزمنا فيهِ ذكر كلمات يكرهها السمع

قلنا ان المفرزات سوائل وجوامد اي بول وغائط اما البول فسائل فيهِ مواد كثيرة اخصها الماء فهو فيهِ من ٦٥ بالمئة الى ٩٥ وفيهِ ايضًا كثير من المركبات النتروجينية والاملاح القلوية وفصفات الكلس والمغنيسيا والصودا والامونيا والبوتاسا وغير ذلك وهو يختلف باختلاف الحيوان